مُحَمَّد سَعِيد الرَّيْحَانِي

مَوْتُ المُؤَلِّفِ

مجموعة قصصية



موْقع ريْحَانيَات

“Death of the Author”

(Short Stories)
By
Mohamed Saïd Raïhani
(Arabic Version)
2010

عنوان الكتاب : **"موت المؤلف"**
نوع الكتاب : مجموعة قصصية
الكاتب : محمد سعيد الريحاني
الطبعة: الأولى، 2010
الناشر: محمد سعيد الريحاني
رقم الإيداع: **2010 MO 1041**
الترقيم الدولي (ISBN): 978-9954-8654-5-3
المطبعة: طوب بريس، الرباط / المغرب

النصوص

شهادة بقلم محمد سعيد الريحاني

حالة تَبَلُّد

كل حياتنا للراحة وكل مماتنا للقلق

حالة تَسَمُّم

اذكروا موتاكم بخير!

على سرير الموت

أسوأ قدر لأسوأ أسير

الحياة كما يتمناها الأموات

الموت على طريقة الأباطرة

قاتلي، أنا لا زلت حيا!

مَوْتُ المؤَلِّفِ

مَلاحِق

سيرة ذاتية

الكتابة بالتيمة القصصية

بقلم مُحَمّد سَعيد الرِّيْحَاني

مقدمة:

من الكُتّاب من يكتب ب"**الفقرات**" لتفضيله تكوين النص الإبداعي انطلاقا من الخلية-النواة: **الفقرة،** يليها تطوير تفاعلات الفقرة نحو نص منسجم متكامل. إنها انطلاقة الكتابة **"من الجزء إلى الكل"**. ولعل الأهمية الكبرى لهذا الاختيار تكمن في التماسك العضوي الكبير لبنية النص الذي تتحكم فيه جينات الخلية الأولى، أو الفكرة الأولى أو الفقرة الأولى.

ومن الكُتّاب من يكتب ب"**النصوص القصصية الفردية المتفرقة"** وهدا حال أغلب كتاب القصة القصيرة. وهي طريقة لا تخضع لمنطق **الخلية أو الفقرة** بقدر ما تحتكم لمنطق "**اللحظة الملهمة الموحية**" إذ غالبا ما تكون **انسيابية تتجاوز مقاصد الكاتب نفسه**. وهي لدلك تبقى مجرد "**مسودة**" تنتظر التصحيح والتنقيح والتطوير لاحقا. ويتكرر الأمر مرة أخرى مع نصوص أخرى حتى إدا ما اكتمل عدد النصوص الكفيل بنشر المجموعة القصصية، بدأ العمل على إعادة تحرير النصوص مرة نهائية وفق المشترك الجمالي أو المضاميني الذي آلت إليه النصوص.

لكنني أعترف أنني أكتب بشكل "**مختلف"** تماما. وبرما كتبت بشكل "**معكوس"** يبدأ من الكل ويتدرج نحو الجزء.

أكتب ب"**المجموعة القصصية**" وليس بالنصوص الفردية المتفرقة. ربما كنت استوردت هده التقنية في التفكير القصصي والكتابة القصصية من الموسيقى. فمند صغري ولعت بمجموعة **البينك فلويد** ***PINK FLOYD*** الذائعة الصيت. وكنت، وأنا أستمع لألبوماتها، أشعر أن الأغاني تتشابه ولا تتشابه، تتغير ولا تتغير. وكانت متعتي كبيرة لما توصلت للحل الذي راقني كثيرا: فالمجموعة، **البينك فلويد،** لا تؤدي "**مقطوعات غنائية متفرقة ومتنافرة**" بل هي تؤدي "**ألبومات**". إن الأمر أقرب إلى **"أطروحة موسيقية"**. ففي ألبوم "**واصلي لمعانك، أيتها الجوهرة المتفردة"** كل الأغاني تكريمٌ لمؤسس المجموعة **سيد باريت Syd Rarrett** ، الذي أصيب بالجنون. وفي ألبوم "**الجدار"،** كل الأغاني حول أشكال الرقابة والتدمير والعوائق الحادة من تدفق الحرية والانطلاق. وفي ألبوم "**حيوانات"،** تتوزع الأغاني بالتساوي بين أصناف الحيوانات من "**غنم**" و"**خنازير**" و"**كلاب**" وغيرها.

أفكر، أولا، في مبحث يتخذ شكل عنوان للمجموعة القصصية ثم تتفرع عناوين النصوص ثم تتناسل النصوص داخل مبحث واحد كان في مجموعتي القصصية الأولى" **في انتظار الصباح** " (2003) هو "**الانتظار والفراغ والقلق الوجودي**"، وفي مجموعتي القصصية الثانية "**هكذا تكلمت سيدة المقام الأخضر**" (2005) كان هو "**العودة إلى البراءة**"، وفي مجموعتي القصصية الثالثة "**موسم الهجرة إلى أي مكان**" (2006) كان هو "**الهجرة والتهجير**" بأشكالها الوجودية والشكلية، وفي مجموعتي القصصية القادمة "**موت المؤلف**" سيكون هو "**الموت والنهايات وإسدال الستائر على مسارات واختيارات لفتح باب المكاشفة والمحاسبة**". أما في المجموعة القصصية "**وراء كل عظيم أقزام**" فسيكون هو "**العلاقة بين الانبطاح والاستبداد**"...

I)- الانتظارية في أضمومة "في انتظار الصباح:"

1)-العيد: عن الانتظار العقيم لأعياد مرت سهوا.

2)-المقص: انتظار نتائج دروس إدماجية جاءت معكوسة لتجعل من الحر سابقا ممسوخا حاليا.

3)-التشظي: انتظار لزيارة مرتقبة تفرض التخلي عن كل الخصوصيات.

4)-الفرجة، الضباب والمشروع:انتظار لفهم مشاريع تمرر دون صخب أو مشورة.

5)-في انتظار الصباح:انتظار لشروق الشمس وجلاء العذاب.

6)-الأبدية: انتظار لعودة الحركة والتعاقبية ودوران الشمس والأرض وتناوب الفصول وتغير الوجوه.

7)-الأفواه الفاغرة: انتظار في انتظار بأفواه فاغرة عاطلة عن القول والرأي.

8)-هوية: انتظار لاعتراف نهائي بالانتماء والمواطنة.

9)-أرض الغيلان: انتظار لنهاية مفاوضات بين الزعيم التاريخي والغول الأبدي.

10)-الشرخ: انتظار المخلص من الانهيار الشامل الوشيك.

11)-حديث غراب: انتظار نهاية حكاية دائرية لقانون نمطي عنوانه الخصي والاستعباد.

12)-وطن العصافير المحبطة: رفض لكل أشكال الانتظارية وقرار للإقلاع، للطيران.

13)-افتح يا سمسم! : انتظار لتحقيق الحلم الجماعي في البوح الجماعي.

14)-الحياة بملامح مجرم: انتظار الحكم المؤبد مع وقف التنفيذ.

<u>II)- الهجرة والتهجير في أضمومة "موسم الهجرة إلى أي مكان:"</u>

1)-طائر الربيع: عن عودة الطيور المهاجرة، طيور التبشير بالربيع والخضرة والتغيير.

2)-لكل سماؤه: إعادة رسم حدود العوالم والسماوات لعيون أطفال حالمة بالانتماء بدل الهجرة.

3)-حفل راقص: حين يصبح الفرح "**فرصة**"، تكون القاعدة هي **الهجرة.**

4)-الحاءات الثلاث: القواعد الثلاثة للسعادة والوجود التي بدونها يتيه المرء بين وساوس الهجرة وإكراهات التهجير.

5)-مدينة الحجاج بن يوسف الثقفي: سلطة الاسم الواحد الذي يلغي كل الباقين ولا يترك لهم سوى باب الهجرة مشرعا.

6)-فخامة السيد الرئيس الحبيب الحي ديما: احتفاء بمحترفي السياسة وإقصاء وتهجير لباقي الفاعلين.

7)-تنمية: ما بين أشكال إدارة الأزمات والشأن العام وصور الحلول في الأذهان تنتصب الحيرة التي لا تقاوم الهجرة من محيط واقعي موغل في السريالية.

8)-إخراج تافه لمشهد تافه : هدا الغصن من تلك الشجرة، خطاب الإقصاء في الأنشطة الزائفة وصناعة التهجير.

9)-شيخوخة: الهجرة قانون الشباب والاستقرار قانون الشيخوخة.

10)-**جون جونيه: بين البحر والسجن والمقبرة:** زوايا المثلث **(البحر والسجن والمقبرة)** المفتوح على بحر الهجرة.

11)- **الرجل الأرنب:** بعيدا عن مفاهيم "**اليمين**" و"**اليسار**"، ينتصب اختيار جديد هو الهجرة إلى "**الأعالي**".

12)- **كلاب:** نص عن الجوع الذي يهجر الجميع بشرا وكلابا بحثا عن فتات الخبز.

13)- **يا داك الإنسان ! :** نص حول تاريخ الإذلال والإهانة رفض السارد تبنيه وهجره تاركا إياه مجرد أغان على الأثير وقصاصات أخبار مبعثرة آثرت الانكتاب بتقنية "**الكولاج**".

14)-**الحياة بالأقدمية:** هيمنة الأمية واعتلاء قدماء الكسالى مواقع القرار في زمن تعطيل الكفاءات وتهجير الأدمغة.

15)-**كاتب:** الصراع بين قيم الرقي والتمدن وبين طغيان الفكر البدائي المتخلف في أحط أطواره والمتمثل في محاصرة القراءة وتهجير الكُتّابِ.

16)-**موسم الهجرة إلى أي مكان:** النص الأخير في المجموعة القصصية ورهان الرحيل الأخير بحثا عن ملاذ آمن بديل.

III)- العودة إلى البراءة في أضمومة "هكذا تكلمت سيدة المقام الأخضر":

1)-**رحلة الاستنزاف:** عن العودة للمصالحة مع البيئة.

2)- **عالم حالم:** العودة للطاقة البديلة والحياة البديلة ومعانقة البيئة السليمة.

3)- **عاشق:** العودة للتناسق مع الكون والتجانس مع قوانينه.

4)- **الأرض تتكلم لغتي:** العودة للأرض كمنتجة للإنسان والثقافة والحياة.

5)- **حديقتي، مملكتي:** العودة لحب الوطن.

6)- **هكذا تكلمت سيدة المقام الأخضر:** العودة لثقافة الأصول ولقيم.

7)- **زهرة الذاكرة وشراب الخلود:** العودة للطفولة لاستلهام السعادة.

8)- **حلم عصفور:** العودة إلى الحلم، شاشة الرغبات الدفينة وضامن التطور الأبدي.

9)- **موعد مع الفرج:** العودة للإيمان بإمكانية شروق الغد الأجمل وتحقيق الأمل المنتظر.

10)- **مدرسة الحرية :** العودة للإيمان بالحرية كسبيل وحيد لتحقيق السعادة والاستمتاع بالحياة.

11)- **شرفة على القلب:** العودة إلى القلب في التفكير والرؤية والتذوق.

12)- **العودة إلى البراءة:** العودة إلى الانفتاح على الذات واستكشاف قواها وجمالها للاستمتاع بالحياة.

IV)- الموت في أضمومة "موت المؤلف":

1)- كُلّ حَيَاتِنَا لِلرّاحَةِ وَكُلّ مَمَاتِنَا لِلْقَلَقِ: نص يقلب مفاهيم الحياة والموت بحثا عن أشكال عمل بديلة.

2)- حَالَةُ تَبَلُّد: في مجتمعات اللا أمن واللا تضامن، يختار الموت ما شاء ومتى شاء وكيفما شاء.

3)- حَالَةُ تَسَمُّم: نص حول التسميم والعقاب بالموت.

4)- أُذْكُرُوا مَوْتَاكم بِخَيْر!: نص حول طقوس جنائز الحاكم في نظام الاستبداد.

5)- عَلَى سَرِيرِ المَوْتِ: نص حول الصور الأخيرة للحظات الأخيرة للاحتضار.

6)- أسْوأ قَدَر لأَسْوَأ أَسِير: نص حول الموت البطيء لمن يحتاج لدروس في الموت الكريم.

7)- الحَيَاةُ كَمَا يَتَمَنّاهَا الأَمْوَاتُ: دَرْس الموت حول محورية الكرامة في الحياة الإنسانية.

8)- المَوْتُ عَلَى طَرِيقَةِ الأبَاطِرَةِ: نص حول الموت الاختياري.

9)- قَاتِلِي، أَنَا لا زِلْتُ حَيّاً: نص حول الاغتيال السياسي والموت المستحيل.

10)- مَوْتُ المُؤَلّفِ: نص يبدأ ما بين موت المؤلف في النص وموت المؤلف في الواقع.

V)-خاتمة:

أيهما أسبق، **الإبداع** أم **التنظير؟**

لا يمكن الحسم في أسبقية هذا على ذاك. ولكن من الحيوية بمكان استحضار " **إطار نظري**" يضبط أعمال الكاتب ويميزها، ويرتقي بها إلى " **التصور النظري المضمر**" إلى "**المشروع الجمالي المعلن**" والذي يبقى أرقى وأنضج أشكال التنظير في الكتابة الإبداعية عموما والكتابة القصصية خصوصا . ومفهوم الكتابة القصصية مدعو للتنصيص على تبني مشروع نظري يغني الكتابة القصصية العربية ويرفع سقف حرياتها باستمرار. والكتابة ب"**المجموعة القصصية" أو** الكتابة ب"**التيمة القصصية" تبقى** خطوة في هده الرحلة الجديدة للإبداع القصصي الغدوي.

جريدة "العرب " اللندنية، عدد الخميس 19 ابريل 2007

حَالَةُ تَبَلُد

"سلاماً!
هل ثمّة أحد في الدّاخل؟
أومئ برأسك إن كنت تسمعني
هل ثمة أحد في البيْت؟

هيّا!
أسمعُ أنفاسَك ثقيلة، مُحْبَطة!
أستطيعُ التخفيفَ من ألمكَ
واسترجاع معنوياتكَ.

اسْتَرْخ
بُحْ لي، أولاً،
بأولَى الحقائق:
هل تستطيع وضع اليد على مكان الألم؟"

"COMFORTABLY NUMB"
PINK FLOYD
أغنية **"فاقدا للحس"**
مجموعة **البينك فلويد**

وحدي، في هده الطريق المقفرة، أخطو نحو اللاهدف، أفكر في اللاشيء وأستمع لصدى وقع خطواتي على الأرض.

وحدي، أتقدم إلى الأمام بلا حماس أو قصد أو غاية.

وحدي، أتسكع وصبيب الهواجس الثقيلة والوساوس الغامضة تدب في شراييني محذرة من خطر تعرضي لاعتداء آثم على أياد متربصة لا ينفع معها دفاع.

ماذا لو اعترض سبيلي مجموعة من قطاع الطرق أو رهط من المجرمين؟

ماذا لو جربت فيَ رصاصة قوتها وفتكها؟

ماذا لو عبثت بتوازني حجرة وأحالتني إلى سكير مترنح قبل أن أتكور على الأرض؟

الوساوس تتناسل وترفرف داخل جمجمتي في مأمن من كل الأيادي العابثة.

نقرة فجائية قوية على مؤخرة رأسي تترك صدى نحاسيا رنانا في كل جمجمتي.

الطنين، الطنين، الطنين...

خط متموج ساخن يسيل مراوغا فقرات عمودي الفقري، يتدحرج حارا حارا حارا.

الفوران يتضاعف أعلى رأسي والحرارة تتضاعف في كل جسمي.

القاعدة العلمية تؤكد أن كل الأجسام الصلبة تذوب تحت فعل الحرارة... واليوم دوري.

إحساس غامض بالفتور يعتريني: إحساس بالسكر والثمالة من غير سكر ولا ثمالة.

الألوان حولي تتخذ ألوانا غامقة ، داكنة، معتمة...

الأشكال حولي تتداخل في بعضها البعض في شكل لولبي، والأرض تدور وتدور وتدور ولا متكأ لي ولا مسندا.

هل سأسقط؟

كأني في الهواء: الشمس أمامي تدور في سماء تدور فوق جبال تدور بأشجار تدور وتدور وتدور... هل أنا ملقى على الأرض؟

السائل الساخن لا زال يفور من رأسي وينعشني بخدر لذيذ.

يداي ممدودتان بعيدا عن جذعي وراحتاي مقلوبتان للأعلى ورجلاي متباعدتان ووجهي إلى السماء.

أهي حالة احتضار؟

أهوالموت؟

ألا زلتُ على قيد الحياة؟

بماذا يُشَهِّدُ الناس وهم على حافة الموت؟

بأصابعهم؟!

أين أصابعي؟!

أصابع رجلي ليست مني!...

سبابتي اليمنى لا أتحكم فيها!...

سبابتي اليسرى لا تطاوعني!...

لساني أثقل من رجلي!...

هل سأموت بدون شهادة!...

تعالوا شَهِّدُوا لي!...

تعالوا ولوا وجهي للقبلة!...

هل سأموت هكذا بوجهي للسماء، كالمِدفع؟!...

هل تسمعونني؟

هل يسمعني أحد منكم؟

هل أنا الوحيد الذي أسمع ما أقوله؟!...

هل صرْتُ المُتَكلم والمُخاطَب وأنا أحتضر؟!...

وُلوا وجهي للقبلة، منْ فَضْلكم!...
أجلوا عذابي إلى ما بعد الدفن، رَجَاءً؟!...

هل سأُتْرَكُ للمَوْت وحيداً على هذه الطرقات المقفرة بضربة مجهولة من قاتل مجهول؟!...

حسنا، يا معشر الصم!...

ليكن ما أردتم لكن ليكن أيضا ما أردت، أنا أيضاً: سأموت هنا وسأتحلل إلى جراثيم قاتلة وسأملأ المكان فيروسات فتاكة وسأهب على صدوركم مع أولى طلائع النسيم طاعونا وسلا وحمَّى إسبانية وأنفلونزا طيور وأنفلونزا بهائم... أمهلوا الروح، أوّلاً، كي تلتحق بخالقها... وموْعدنا بعد حين.

2 مارس 2007

كل حياتنا للراحة
وكل مـــمَاتنا للقلق

لكلِّ جديد لَـذَّةٌ غير أنَّني
رأَيْتُ جديد الموت غيرَ لذيذ
لَهُ خَبْطَةٌ في الخَلْقِ ليستْ بِسُكَّرٍ
و لاَ طَعْمَ راحٍ يُشْتَّهى و نَبيذُ

الحطيئة
(جرول بن أوس بن أبي قُطَيْعة بن عبس)

صحيح أنني لا أستطيع تحريك أطرافي بسبب ضيق هذا الرداء الذي يغطيني من أعلى رأسي إلى أخمص قدمي لكنني أستمتع بهذه الرحلة محمولا على الأكتاف على سريري الخشبي العاري بعينين مغمضتين ويدين مضمومتين فوق صدري العاري تحت هذا الرداء الأبيض الخفيف...

أعلم أنني في وضع أحسد عليه. وحدهم الفراعنة وأباطرة الهند والصين والأزتيك والمايا والإنكا نالوا شرف هذه التجربة: تجربة السفر محمولا على السرير دون الحاجة لعجلات ولا لمقود ولا لحزام السلامة ما دام على الأرض من يتدبر الأمر...

طبعا سيحسدني السائقون لكن الحسد الكبير هو حسد من هم في السماء، ربابنة الطائرات. فكلانا يطير. لكن طيراني أكثر أمانا لأنني أحلق على بعد مترين فقط من الأرض وهو ما لا يستطيع القيام به أمهر ربابنة الجو على مر العصور...
عيناي مغمضتان ويداي مضمومتان على صدري العاري تحت هذا الرداء الأبيض الخفيف، أستمتع بهذا الكورال الكبير الذي يرافق رحلة سريري الخشبي:

« لا إله الا الله، محمد رسول الله
لا إله الا الله، محمد رسول الله
لا إله الا الله، محمد رسول الله...»

سمعت هذه اللازمة كثيرا في المآتم والجنائز لكنني لم أشعر في يوم من الأيام بما توحي به من سكينة وطمأنينة وسلام مثلما أشعر بها اليوم. فلا وشوشة ولا نميمة على ألسن الأفواه تحتي تعكر إيقاع الإنشاد الذي لا يتقدم ولا ينقص فاللازمة القصيرة هي سيدة الملفوظ والمفكر فيه معا، وهي أيضا اللازمة والنص معاً.

كانت عيناي مغمضتين ويداي مضمومتين على صدري العاري تحت هذا الرداء الخفيف حين أحسست بنزول سريري على الأرض مع توقف الكورال عن التشهد الجماعي.

الصمت يعم المكان الذي أحسه ظليلا هده اللحظة إلا بين الفينة والأخرى فكانت تصلني تكبيرات فردية قريبة تليها موجة جماعية عالية من التكبير من الجهة الخلفية لسريري الخشبي.

كانت عيناي مغمضتين ويداي مضمومتين إلى صدري العاري تحت هذا الرداء الخفيف حين رُفِع سريري فوق الأكتاف من جديد خارجا إلى ضوء الشمس على إيقاع الكورال الكبير اللازمة القصيرة.

« لا إله الا الله، محمد رسول الله
لا إله الا الله، محمد رسول الله
لا إله الا الله، محمد رسول الله...»

كانت عيناي لا زالت مغمضتين ويداي مضمومتين إلى صدري العاري تحت هذاالرداء الأبيض حين أحسست بالأيدي تتسابق لانشالي من سريري الخشبي.

هل هي نهاية الرحلة؟

ضربات المعاول والفؤوس على الأرض تصلني من كل مكان.

هل هذا حقل؟

وما علاقتي بالحقول؟

هل سيوظفونني في هذا الحقل كفزاعة تخيف الطيور المغيرة على المحاصيل؟

لكن المكان الذي وضعوني فيه عميق وضيق وبارد ويبدو أنه تحت الأرض وليس فوقها!...

ما هي وجهة الفزاعة التي أصبحتها؟

فزّاعة للطيور أم فزّاعة للأفاعي؟

سمعت أحدهم يسأل:
- "أين عائلة الفقيد كي ترى وجهه قبل أن يوارى التراب؟"

فكان الرد سريعا:
- "لا حاجة لذلك".

هل يعتقدون بأنني ميت؟

هل سَيُوَارُونَني الثرى؟

علي إذن أن أتحرك!

يجب أن أخرج!

سيدفنني هؤلاء الملاعين حيا!...

هل هذه هي نهاية الرحلة؟

هل هذه هي الغاية التي كنت أستمتع بأساليبها وأدواتها؟

بدأت أحس الآن بارتطام الألواح الصخرية على حافتي اللحد فوقي وها هو صليل معادن الفؤوس والمعاول وهي تدفع أكوام التراب فوق الألواح وتقطع صلتي بالعالم القديم وتُؤْذي طبْلَةَ أذنَيّ...

يبدو انني سأنتظر طويلا حتى يخفت بالتدريج صليل المعادن الهائجة مع ابتعاد وقع خطى مشيعي جنازتي رويدا رويدا بحثا عن غفل آخرين على أسرة خشبية أخرى ليسوقوهم إلى جواري ويطمروهم بجانبي، أحياءً يُرَمْشُونَ.

الصمت، الآن، قاتل!

ماذا أنتظر هنا، حَيّاً أُرَمّشُ؟

هل باستطاعة الملائكة القدوم إلي في قبري لمساءلتي ومحاسبتي وأنا لا زِلْت حيّا أُرْزَق؟

الضّيقُ، هُنا، قَاتلٌ!

هنا، لا يمكنني حتى التقلب وتغيير وضعية رقادي من الاستناد على يدي اليمنى إلى الاستناد على يدي اليسرى. هل هذه هي الراحة الأبدية التي طالما تحدثنا عنها عندما كنا فوق الأرض؟

هل سيمتد عذابي هذا إلى الأبد؟

لم أفهم في حينه أن هذا سيكون هو مصيري المحتوم عندما كنت محمولا على الأكتاف.

الوحدة، هنا، قاتلة!

لماذا حملوني إلى المقبرة؟

لماذا اعتقدوا بأنني ميت؟

هل تأخرت في النوم؟

هل دخلت غيبوبة وصلت الشهرين فيئسوا من حالي؟

هل كنت ميتا قبل أن أعود إلى الحياة على متن النعش؟

كيفما كان الحال، عليهم أن يرجعوني، حالا، إلى بيتي ما دمت حيّا.

سأصْرُخُ.

بدأت أصرخ لكن صراخي ظل يعود علي بالصُّداع إذْ ترجعه الألواح الصخرية المصففة مباشرة فوق جسدي.

عليّ أن أصْبرَ وأستمرّ في الصراخ كَيْ أُسْمعَ صوتي لمن لا زال يتسكع فوق أرض المقبرة قرب قبري.

عليّ أن أثير الإنتباه إلى كوني مدفوناً حيّاً. لكن البُحّة تمكّنت من صوتي والعطش بدأ يُجَفّف حلقي والنتيجة دائرية الصفر.

الصراخ، إذن، غير مجد.

سأحاول خَلْخَلَةَ الألواح الصخرية المرتبة عرضيا فوقي بضربات رأسية مادامت أطرافي موثقة تحت الكفن.

حاولت لكنني لم أستطع تنفيذ ضربة رأسية واحدة لعدم قدرتي على الارتكاز على نقطة تسعفني في ذلك. فأنا ممدّدٌ مثل مسطرة داخل مقلمة حجرية ضيقة بيديْن ورجليْن مغلولتيْن.

أنا الآن أحاول معالجة أمر كان علي تجنبه منذ البداية. لقد كان عليّ أن أنتفض، قبل الآن. كان عليّ أن أنتفض حين كنت محمولاً على الأكتاف أو أن أصرخ في عز الصمت المصاحب لصلاة الجنازة، جنازتي... لكنني قبلت بدور الميّت الذي فُرض عليّ عندما كنت حياًّ والآن أحاولُ لَعبَ دوْر الحَيّ وأنا في عداد الأمْوات!...

لكنْ، ألمْ يعرف المتناوبون على حمل نعشي، من خلال وزني، بأنني لا زلت حيّاً؟

لا شكّ أن العنادة والإصرار على دفني أعمى هؤلاء عن معرفة الحقيقة فلم يدركوا أنني لا زلت على قيد الحياة.

الظلام، هُنا، قاتل.

لا أرى شيئا!

لا أرى حتى جسدي!

نعم، أعرف بأن جسدي معي هنا لكن فقط من خلال تحسّس أعضائه عضواً عضواً: بالعض على شفتي مثلا أو الضغط بذراعي على قفصي الصدري أو بفرك أصابع قدمي... لكنني بدأت الآن أشعر بعامل خارجي مساعد يثبت لي بالملموس، رغم الظلام المطلق، أن جسدي هنا في هذا القبر في هذه اللحظة: النّمل.

لقد بدأ النمل يعبر جسدي في قوافل متحركة من أخمص قدمي إلى هامة رأسي، جيئة وذهابا. أحسه يرسم مستقيمات متوازية ومتقاطعة ومتعامدة على جسدي، يتجمع في نقاط ويوسع عدده في دوائر هنا وهناك.

ألا يعلم النمل، من خلال نبضي، أنني حيّ؟

ألا يجدر بالنمل اقتفاء أثر الملائكة فيتروى ويؤجل هجومه عليّ إلى مابعد موْتي؟

وخز وقرص وعض في كل مكان من جسمي وليس لي حتى المساحة الكافية لثني ركبتي!

صراخي يشتد ويحتد مع النهش المسعور للنمل الجائع. أصرخ وأصرخ وأصرخ ولا أتوقف عن الصراخ والنباح والعواء إلا على رنين الساعة المنبهة معلنةً وقتَ اليقظة في صباح مختلف تحت غطاء مختلف على سرير مختلف.

26 مارس 2007

حالة تسَمم

" لست أذكر
إلا الطريق
التي ضللتني
فتهت عند القدمين
***
لست أذكر
إلا الجبال
التي علمتني الهبوط
من الجنة الغائبة
***
لست أذكر إلا الغريب
الذي قال لي:
أنت لست سواي."

عبد الكريم الطبال
قصيدة "أمام النسيان"

وجع بحدة السكاكين يقطع أمعائي دقيقها وغليظها.

هل هو وجع موعد الذهاب لدورة المياه؟

دخلت الحمام وخرجت منه بأوجاع أكثر حدة.

صيدلية الحراسة الليلية بعيدة وربطة الصعتر المتدلية على جدار المطبخ تبقى باب الأمل الوحيد في الخلاص من الألم.

طبخت أعوادا من الزعتر في ماء مغلى ثم شربت مرارته على جرعات. لكن يبدو أن الوجع في أمعائي محصن ضد كل الوصفات والأعشاب.

لم أعد أستطيع السيطرة على انفعالي. ربما كان عويلي الآن يسمع من صيدلية الحراسة الليلية ذاتها.

من أين لي بهذا الوجع؟

من الوجبة السريعة التي تناولتها اليوم خارج البيت؟

الوجبة كانت فعلا رديئة والطباخ متسخا والموائد ملاعب مفتوحة لذباب بحجم الجراد... لكنه كان المطعم الوحيد في تلك الضاحية النائية ثم إنني لم أشعر بأي لا أثناء الاكل ولا بعده.

العويل، العويل، العويل...

بدأت أسترجع شريط الأحداث التي وقعت لي هدا اليوم.

أتذكر أن الوجع لم يتملكني إلا بعد فراقي مع حواء بعد جلسة محاسبة صاخبة في قاعة شاي " **الفردوس**" تضايق منها كل الرّواد وخرجتْ منها حَواء دامعة العين من الباب الرئيسي بينما خرج أدم من الباب الخلفي منكبا على وجهه ممسكا بطنه بذراعيه.

هل حملت معي هذا الأذى الذي يعذبني من "**الفردوس**"؟

لكنني لم أتناول غير عصير بارد!

هل هو فعل البرودة في أمعائي؟

لماذا كانت حواء تحاسبني بعدوانية ظاهرة وهي تحرك لي بمعلقتها كأس عصيري؟

هل دسّت لي شيئاً في كوبي وأرادت إخفاءه بتحريكه وتذويبه ؟

هل حدة الوجع المستفحل في أمعائي هو فعل السم؟

هل تجرعت السم؟

هل عاقبتني حَواء على خياناتي المتكررة لها بدسّ السّم في مشروبي؟

العويل صار الآن مضاعفا.

لم أعرف وجعا كهذا في حياتي.

هل ينفع معه ترياق؟

فتحت قنينة زيت عمرها قرن من الزمن توارثها آبائي عن أجدادي الذين لم يتركوا عقارا ولا أبقارا. شربت ملعقة كبيرة من زيت زيتون القرن الماضي الذي أصبح بفعل بالأقدمية ترياقا صالحا لمقاومة سموم القرن الحالي.

العويل وصل أقصى مداه!

العويل، العويل، العويل...

معسكر الوجع في بطني صار معسكرين: الأول للسّم والثاني للتّرياق...

أعضائي بدأت تتعطل الواحدة بعد الأخرى .

هل يتعلق الأمر بانتقام؟

لم أعرف في يوم من الأيام قبل هذه الساعة أن إيلام الآخر هو مقدمة لإيلام الذات؟

اليوم فقط أعرف أن الآخر ليس سوى تجل من تجليات ذاتي؟

اليوم فقط أُدْركُ بأن حواء لم تكن غير مرآتي الأنثوية...

عُظماءُ التاريخ وصلوا إلى الحقيقة فعوقبوا بالتسميم ولكنني، على الضفة الأخرى من التاريخ، أصل الحقيقة بعد تسميمي...

العويل، العويل، العويل...

هل قدر الغافلين دائما هو التسميم؟

تعطلت، الآن، كل أعضائي إلا يدي اليمنى التي تخط هذه الإعترافات. وإذا ما أدركها الشلل والموت، فاعذري نقصان النص واعذري طيشي وخيانتي فقد ركبت موج الرجولة ولم أعرف أن لقناع الرجولة جوهرا أنانيا...

قاتلتي، سامحيني حين تقرئي هذا النص بعد تعطل الجسد وفرار الروح.

سامحيني.

سامحيني.

سامحيني...

28 مارس 2007

اذكروا موتاكم بخير

ما للقبور كأنّما لا ساكن فيها
و قد حوت العصور الماضية
طوت الملايين الكثيرة قبلنا
و لسوف تطوينا و تبقى خالية
أين ألمها و عيونها و فتونها؟
أين الجبابر و الملوك العاتية ؟
زالوا من الدنيا كأن لم يولدوا
سحقتهم كفّ القضاء القاسية
إنّ الحياة قصيدة أعمارنا
أبياتها والموت فيها قافية

إليا أبو ماضي
"الحياة قصيدة"

الضربة الواحدة المدوية في سماء البلاد نتعرف مصدرها للتو جميعا على أنها الرعد. لكن هذا الطرق المتردد على جميع أبواب بيوت البلاد في نفس الوقت وبنفس الإلحاح لا يمكنه أن يكون إلا لأعوان السلطة الخارجين اليوم في مهام حشد الناس لحضور جنازة فخامة السيد رئيس البلاد المفدّى.

وفاة السيد الرئيس كانت متوقعة منذ ما يزيد عن الستين سنة لكن نظرا لإصراره على تحطيم الرقم القياسي في الحكم الذي كان بحوزة يوليوز قيصر وحطمته من بعده الملكة فيكتوريا.

لقد استطاع السيد الرئيس أن يتجاوز في عمره الشخصي سقف المائة عام كما استطاع أن يتعدى في عمر حكمه سقف التسعين عاما مادام قد تولى الحكم وهو صبي وعرف باقي مراحل حياته على ذات كرسي الحكم من مراهقة وشباب وكهولة وشيخوخة. بل إن وسائل الإعلام تداولت خبراً مفاده أن السيد الرئيس وافته المنية على كرسي الحكم وهو يفكر في مصائر البلاد والعباد...

ساحة الحي، الآن، امتلأت عن آخرها بالأطفال والنساء والرجال والعجزة والحمقى... هرج ومرج وأمواج متلاطمة من الرؤوس الآدمية وخيام كالفطر تنتصب هنا وهناك وأمطار ورقية تسقطها مروحيات تعبر السماء جيئة وذهابا لتحفيظ الناس الأوردة والأدعية الخاصة بالمناسبة.

أعوان السلطة جمعونا بمعية باقي سكان الحي ليقدموا لنا الإرشادات:
- تعرف البلاد اليوم أسوأ حدث في تاريخها وهو وفاة "**الأب**"، أب الجميع. وأنتم اليوم، من باب الاعتراف بخدماته وانجازاته، جئتم بمحض إرادتكم لتنظموا موكبا جنائزيا رهيبا يليق بروحه الطاهرة.

توقف العون الأول ليطلب قنينة ماء معدني حصل عليها للتو. سكب نصفها في جوفه بينما واصل العون الثاني مهمة الإرشاد:

- الموكب الجنائزي الرسمي سينطلق بعد قليل.وسيكون علينا الآن اللحاق به بالخروج من جهة ذاك الشارع حيث نصبت الكاميرات لتصوير المشاركين الحاضرين والغائبين على السواء. لكن، في انتظار إشارة الانطلاقة، يمكنكم الآن التجول بين الخيام وقضاء مآربكم بهذه المناسبة الجليلة.

الخيام منصوبة في كل مكان تعلوها الرايات وأغصان الريحان وصور الرئيس الفقيد.

اقترب مني أحدهم وسألني:
- هل نصبت كل وزارة خيمة خاصة بها في هذه الساحة؟
- ليست لدي فكرة.
- انظر!

اقتربت من أول خيمة كتب على واجهتها «**خيمة وزارة رعاية الطفولة**»: الخيمة ممتلئة عن آخرها بأطفال يختارون لعبا تعرض بالمجان ودمى ومجسمات كتب عليها «**سنبقى نحبك، أيها الأب**». ولأن الخيمة للصغار، فقد خرجت هاربا من هياج الأطفال وصراخهم.

زيارتي الأولى للخيمة الأولى أكسبتني تجربة. لقد بدأت أقرأ أسماء الخيام قبل دخولها.

هذه «**خيمة وزارة الإرشاد والفتاوى الدينية**» وهي أكثر الخيام ضجيجا لأنها علقت أبواقاً على أعمدتها تبشر من خلالها بالأجر والثواب لمن شارك في هذه الجنازة. كما أن هذه الخيمة هي أفرغ الخيام محتوى فلا يوجد داخلها غير آلة تسجيل تردد ما يسمع في الأبواق لجحافل المستمعين في الساحة.

تبقى «**خيمة وزارة التشغيل**» قبلة الشباب. أزيد من عشرة موظفين يطلون من شبابيك الخيمة يوزعون من خلالها بطائق الشغل على العاطلين عن العمل من الشباب المشارك في تشييع جنازة «**الأب**». الشباب يتدافع ويتزاحم لاقتناء بطاقة شغل من هذا الشباك ثم يعود للشباك المجاور للتدافع مع الأجساد المتزاحمة للظفر ببطاقة شغل ثانية لعلها تكون أفضل في قطاع أفضل براتب أفضل...

يد أحدهم جرتني من كُمّ قميصي للمشاركة في تهيئة «**خيمة وزارة حقوق الإنسان**» التي وصلت الساحة قبل العمال الذين سينصبونها والموظفين الذين لا أحد يدري العرض الذي سيقدمونه بهذه المناسبة الاستثنائية. لكن في الوقت الذي كانت اليد تجرني نحو«**خيمة وزارة حقوق الإنسان**»، كانت يد كل واحد في الساحة تجر أقرب كُمّ إليها نحو الشارع هناك في المنعطف للمشاركة في تشييع جثمان فخامة السيد الرئيس نحو مثواه الأخير.

أحدهم حاول الخروج عن السيل الآدمي، محتجاً:
- لماذا سأحضر في صلاة جنازة رجل ميت صليت له في حياته بعدد سنوات حياتي؟

فكان الجواب الجماعي الآتي:
-اذكروا موتاكم بخير!

ثم كان جواب صوت منفرد في زيّ رسمي وسط السيل الآدمي:
- اذكروا موتاكم بخير وذكروا أحياءكم بالصمت والحكمة!

29 يونيو 2007

على سرير الموت

وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي
وأي امرئ مما قضى الله يفلتُ
وأي امرئ يأتي بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت

تميم بن جميل

ألا ترى معي أنك، الآن، لا تذكر غير اللحظات السعيدة التي عرفتها في حياتك رغم كثافة الأجساد المتحلقة حول سريرك في دائرة من الصمت والغبن؟ لا يمكنك أن تذكر غير تلك الإشراقات السعيدة التي ظلت هاربة باستمرار، منسية أغلب الأوقات. لكنك كنت دائما تعود إليها في الأوقات الحالكة لتستمد منها القوة من جديد للإنبعات من جديد ومواجهة الغبن والفشل والتحديات. أما اليوم، فالأمر مختلف.

اليوم، أنت لا تواجه فشلاً ولا غبناً ولا أي شكل من أشكال التحدي.

اليوم، وصلتَ إلى خط الوصول في رحلتك الفردية. ولأنك كنت ترى رحلتك هذه عادية دائما فإنك تحاول الآن أن تضفي عليها معنى وقيمة وخصوصية.

ألم تنتبه أنك لم تعد تذكر الأشياء التي قضيت معظم أوقات حياتك تركض خلفها؟

سأذكرك ببعضها.

المال؟

لم ألحظ أي ذكرى من الذكريات المشعة أمام عينيك الآن احتفالا بالمال والأرباح والمشاريع...

المناصب؟

لا أثر للمناصب فيما تتذكره من لحظات سعيدة، الآن. لا أثر لها على الإطلاق.

البنون؟

هاهم يتحلقون حولك في دائرة تزداد ضيقا مع تزايد خفوت صوتك واستفحال شحوب صورتك واشتداد برودة ملمسك. لكن لا أحد منهم يدري بأنهم غائبون، بصيغة الجمع، عما تتذكره الآن.

فيم تفكر الآن وماذا تستحضر للتخفيف من وطء الاحتضار؟

طبعا، أنا لا يخفى علي شيء ولكن السؤال المطروح هو سؤال فلذات أكبادك الذين لا يرون الآن هذه المتواليات من الوجوه الأنثوية التي ألهبت حياتك في ما مضى ونفخت فيك قوى لم يعرفها غيرك من المتسابقين على المال والبنين فجعلتك ترى الجمال في كل ما حواليك وتسمع الشعر في كل ما يحيط بك وتلمس الوداعة في كل ما تصله يدك...

لا شيء من هذا يخطر على بال الأحياء من أبنائك الذين يشهدون لك الآن بالمشوار الصعب والعمل الشاق والتضحيات الجسام التي قدمتها من أجل أمنهم وأمانهم ورفاهيتهم وهم لا يعلمون أنهم حين يحاولون محادثتك، فإنهم يعكرون عليك صفو سعادتك بذكرياتك النورانية. ولكنك ربما لحظت وأنت تحاول الإجابة عن أسئلتي بأن صوتك يزداد خفوتا لحظة بعد لحظة وأنفاسك تزداد برودة وأعضاؤك تبرد وتبرد وتسقط القدرة على السيطرة عليها شيئا فشيئا...

ضاع منك الصوت فجأة ولم يعد لسانك يقوى على أدنى حركة إلاّ من امتصاص قطعة الصوف المبللة بالماء التي تدليها في فمك هذه المرأة التي استأثرت بكل تركيزك فلم تعد تبصر من الحضور غيرها ولم يعد يشغل بالك في الكون سواها.

السواد الحالك يحتوي الكون أمام عينيك متقدما في طوق مظلم حول المرأة أمامك راسما هالة ضوئية حولها بينما يخفق خلفها جناحان أبيضان يرفرفان بأمان بينما امتدت يداها إلى الأمام نحوك طلبا لمصاحبتها داخل الطوق النوراني المضيء.

أنت الآن تحس بدبيب سعادة لم تعرفها منذ عهود سحيقة تسري في كل جوارحك بينما انتبهت الأجساد المتحلقة حولك إلى الموجة الصفراء التي اكتسحت محياك فجأة فزحفوا أكثر نحوك لمعاينة الأمر لكنك، بطمأنينة المؤمن، تشعر بأنك تبتعد عنهم بقياسات ضوئية مهما حاولوا الاقتراب.

ولأنه لا وقت للتفكير مع زحف السواد الأخير حول محيط المرأة أمامك، لب دعوة يديها النورانيتين وانفذ معها بروحك من الطوق المضيء إلى النعيم وجنانه واترك هنا جسدك لهذه الأجساد الملتحقة حولك التي ستتكفل بغسله وكفنه ودفنه.

29 يونيو 2007

أسوأ قدر لأسوأ أسير

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيمِ

أبو الطيب المتنبي

- حسنا أيها الأسير. لقد انتهت الحرب، هذا تعرفه. وخسرتم المعركة، وهذا ما تعتمد علي في تأكيده. واستحققت الأسر وهدا ما ستؤدي الثمن عليه...

لاحظ الضابط العسكري نتائج تصريحاته ترسم شحوبا على وجه الأسير وضمورا لحجمه على الكرسي وارتعاشا في كل أطرافه فنهض من كرسيه وظل يحوم في غرفة التحقيق حول الأسير في دوائر واسعة ثم أقل سعة ثم أضيق فأضيق مضاعفا من شعور التوتر لدى الأسير ليستطرد قائلا:
- ولأنكم كلفتمونا الغالي والنفيس كجيش دولة، فإننا بعدما صيرناكم أفرادا بلا دولة سنطلب منكم أغلى ما تملكون وأحب الأشياء إلى نفوسكم وقلوبكم قرابين للجيش المظفر...

توقف العسكري أمام الأسير الذي قُزّمَ حتى لم يعد يظهر إلا كمُجسم إنسان، ثم سأله:
- ما هو القربان الذي ستقدمه تعظيما وإجلالا للجيش الذي لا يُقْهَرُ؟

تردد الأسير، مطأطئا رأسه. لكن العسكري أعاد له وضعية رأسه إلى الأعلى برأس هراوته، مكررا:
- القرابين ، أيها الأسير، لا يمكن إلا أن تكون أنفس ما تملك وأغلى ما تشتهي وأحب ما في الوجود إلى قلبك...

ثم مقتربا حتى وجه الأسير:
- ما هو أغلى شيء في حياتك؟

نطق الأسير، أخيراً:
- وطني.
- وطنك أخذناه. أنا أسألك عن الشيء الغالي في حياتك والذي لا زال حصنا منيعا؟
- زوجتي.
- حسنا. أكتب لها تلغرافا تستدعيها إلى هنا.
- لكن ما شأن زوجتي بهذا المكان؟
- التحقيق يتطلب ذلك؟

ثم تراجع الضابط العسكري إلى النافذة المشرعة فاسحا المجال للأسير كي يكتب بتلقائية...

الطرق على الباب يتطلب جوابا من الضابط:
- ادخل.

دخل جندي وأدى التحية الآلية قائلا:
- زوجة الأسير، أيها الرئيس.
- ادخلها، حالا، أيها الجندي!

دُفعَتْ إلى داخل الغرفة امرأةُ في مقتبل العمر وقد جُرّدتْ من ملابسها الداخلية ومن خفيها وأطلق شعرها المخبّل على وجهها.

أشار العسكري إلى المرأة وهو يسأل الأسير:
- هل هذه زوجتك التي أبرقت لها قبل قليل؟

أومأ الأسير بالإيجاب.
- هل هي أغلى ما عندك؟

أومأ الأسير بالإيجاب، منكسراً.

استدار العسكري صوب الجندي، قائلا:
- إن كرَمَ هذا الأسير يمنحك هذه المرأة. فهي لك وأنت حرٌّ في التصرف فيها كما تشتهي النفس الإنسانية. خذها وانصرف!

حاول الأسير الاحتجاج بالصراخ لكن العسكري، بصوته غير العسكري، طمأنه:
- هل تعتقد أن النساء أغلى ما في الحياة؟

ثم بدأ دورانه على طريقة القرش حول كرسي الأسير بخطوات منتظمة يرنُّ وقع الكعب المعدني معها في كل وجدان مهزوز:
- هل تغلب كفة الزوجة على الأولاد، أيها الأسير؟

كان الأسير ينتحب ولم يستطيع الجواب فواصل العسكري:
- سأساعدك على تغيير رأيك. فالأولاد زينة الحياة في عُمر الآباء، والأولاد امتداد للآباء بعد رحيلهم...

ثم مستديراً نحو الباب:
- أيها الجندي، أدخل الأبناء!

انفتح الباب وتدفق إلى الحجرة ثلاث أطفال يصرخون:
- بابا! بابا! بابا!

حاول الأسير النهوض لمعانقة أطفاله لكن العسكري منعه:
- أرأيت، أيها الأسير؟ لم تفعل شيئا من هذا حين جاءت زوجتك ولا قالت لك "**حبيبي**" ولا قلت لها "**حبيبتي**". أرأيت الآن أيهما أغلى؟

ثم أردف:
- هل تعلم، أيها الأسير، أن قدماء الإغريق كانوا يضعون أطفالهم مباشرة بعد ميلادهم في أعالي الجبال لمدة ثلاثة أيام فيموت ضعاف الأطفال ولا يعود لآبائهم، بعد الأيام الثلاثة، إلا الأقوياء؟

استدار العسكري نحو الجندي عند الباب:

- أيها الجندي، خذ الأطفال عراة إلى قمم جبال الشمس مباشرة تحت أعشاش النسور لمدة ثلاثة أيام على أن نحتفل في اليوم الرابع بمن بقي حيا منهم. خذهم وانصرف !

حاول الأسير الاعتراض والتمسك بأطفاله لكن الجندي كان قد أوصد الباب دونه بينما أمسكه العسكري من ياقة قميصه وأعاده إلى الكرسي ليبدأ دورانه من جديد حول الأسير الذي بدا الآن نحيبه أعلى ودموعه أغزر.

توقف العسكري فجأة وراء الأسير وهمس له في أذنه:
- لم تقدم قربانا للجيش المظفر لحد الساعة. لم تقدم قرابين إلا لمتعة الجندي وفراخ النسور.

استقام ثانية وبدأ يدور قائلا:
- وسع نظرك على نفائس ممتلكاتك وَابْحرْ في خيالك وسترى ما يمكن تقديمه قربانا للجيش المظفر!

التقط الأسير أنفاسه ليعترض:
- لم يبق لي شيء بعد ضياع الوطن والزوجة والأبناء...

عارضه العسكري بمودة ظاهرة:
- لا، أيها الأسير. لا زلت تمتلك أغلى ما في الكون. لا زلت تمتلك النظر وهو وسيلة الوصول إلى الحقيقة. و لا زلت تمتلك القلب وهو خزان الأذواق والذكريات والمهارات. و لا زلت تمتلك الدماغ وهو قوة الكون بأكمله...

رفع الأسير رأسه قائلا:
- أيها الرئيس. سأطلب منك طلبا واحدا ويمكنك أن تعتبره قربانا.

أجابه العسكري:
- وما هو هذا الطلب، أيها الأسير؟
- أن تحررني بطلقة نارية في الرأس.

ثم جازما:
- اقتلني، رجاء!

عاد العسكري إلى كرسيه قبالة كرسي الأسير ليصارحه:
- لو كنتَ تقدمتَ بهذا الطلب قبل كل هذا الإذلال، لكنت أشرف الشرفاء وَلَمتّ شهيداً. أما الآن، فستستحق أمنيتك بالموت بطلقة نارية في الرأس ولكنك، أيها الأسير، ستموت كالكلب موْت الكلاب وتدفن رمياً في مقبرة جماعية كالكلاب ولن يذكرك أحد فقد قتلتَ نسلكَ وانتهتْ قصتكَ.

28 مارس 2007

الحياة كما يتمناها الأموات

موت يسير معه رحمة
خير من السير و طول البقاء
و قد بلونا العيش أطواره
فما وجدنا فيه غير الشقاء

أبو العلاء المعري

قد يبدو لك الأمر مَرَضياً ولكن، صدقني، إنها أمنيتي: أنْ أنعمَ بشرف الموْت كيْ أحظى بالتكريم والتشريف اللذين يُلازمانهَا.

أنْ أحظى بتجميع الأحباب من كل بقاع الأرض حول فراشي وان أقرأ في عيونهم العزيزة أملهم في الظفر برؤية أخيرة إلى تعابير وجهي والحظوة بسماع الكلمات الأخيرة على لساني فيعتذرون ويلحّون على سماع الصفح.

أنْ أحظى بشرف الغسل دون أن يتعفف أحد من وسخي أو من لمس أعضائي ما ظهر منها وما بطن.

أنْ أُحْمَلَ على نعش مدثر بأبهى الألوان وأتجول محمولا على الأكتاف في أفضل الشوارع وقد وقف لي احتراما وإجلالا كل المارة وروّاد المقاهي والمطاعم واطفئت تقديرا لروحي كل آلات التسجيل والراديوهات والأبواق وتوقفت عن السير كل وسائل النقل إلى غاية مرور موكبي. فلا أحدا يفكر في موضوع آخر غير موضوعي، "**الموت**".

يا للعظمة!

أن يجتمع على ذكرالمرء بعد وفاته الخصوم والأصدقاء على السواء بكلام خير وذكريات سعيدة ومواقف شجاعة وأعمال نبيلة.

يا للعظمة!

أن ينجو المرء بعد وفاته من النميمة والنبش في أخص خصوصيات حياته الحميمية بحثا عن العيب والضعف.

يا للعظمة!

وحده الإحساس بالغياب ينغص علي انتشائي بعظمة الموت: أن يحدث للمرء كل هذا الاحترام والتبجيل بينما هو في خبر كان.

فما جدوى تَحَقُّقَ آمالي في غيابي؟

وما جدوى تكريمي وتشريفي بعد انسحابي؟

وما جدوى الحياة إذا كان الموت أمنية؟

وما قيمة الأماني والآمال إذا كان أسمى ما يصبو إليه المرء هو الموت؟

أعترف بأنني أحسست منذ البداية بابتسامتك تطاردني وتحاول الإمساك بمكامن الخلل في كلامي. ولكن الخلل ربما كان في مكان آخر غير كلامي.

ربما كان الخلل تحت أقدامنا.

ربما كان الخلل في صدورنا.

ربما كان الخلل في عيوننا .

ربما كان الخلل في جماجمنا...

لكن ابتسامتك الصامتة جعلتني أُعَدّلُ أمنيتي قليلا.

ابتسامتك الرقيقة جعلتني أطلب الأماني كاملة غير منقوصة.

ابتسامتك الوديعة جعلتني أتمنى الكرامة دون تفريط في الحياة.

ابتسامتك الودودة علمتني أن الحياة للإنسان والموت للجثث.

ابتسامتك الصامتة أعطتني درساً. فمنذ اليوم، لن أقبل بحياة لا يرضى عنها الأمواتُ.

30 يونيو 2007

الموت على طريقة الأباطرة

إلى الشاعر المغربي كريم الحوماري،
في ذكرى رحيله الاختياري.

"لم أعد أخشى الموت كما كنت في السابق لكنني أخشى موت قدرتي على الكتابة. إن القول بأن الفنون تهزم الموت هو وهم جميل يخلقه الإنسان."

محمود درويش

أرهقه التفكير جالسا على مقعده برأسه مسندا على راحتيه، محاصرا بأشيائه المراكمة على الطاولة حتى انزلقت مرفقاه متباعدتين ليرتطم ذقنه بصلابة الخشب ويجد أمام عينيه أدوات خلاصه تنتظر الحسم والشروع في التنفيذ. فبحقنة كهذه، تخلص نجومه المفضلين من الحياة من "**جيمي هندريكس**" و"**جيم موريسن**" إلى "**كورت كوباين**". وبمثل هذا الحبل السميك، أنهى "**حنبعل**" حياته. وبجرعة واحدة من مادة كهذه، لقي "**سقراط**" مصيره الأخير، وبمثل هذه الكمية الزائدة من العقاقير، تخلصت "**داليدا**" من الوجود. وبالكثير من هذا النوع من الخمر، رحل "**ويليم شكسبير**"...

لكن من بين كل هذه الأدوات على الطاولة، يبقى المسدس هو الأكثر فعالية. فمن جهة، النتيجة مضمونة وسريعة. ومن جهة أخرى، طلقة الرصاص عامل مهم لإشعار الجيران بوقوع العملية حتى يقتحموا شقته ويقرؤوا أسباب إقدامه على الانتحار محررة على الورقة قرب جثته ويتحملوا مسؤوليتهم حيال الكفن والدفن.

أمسك بالمسدس واختبر الزناد بسبابته عدة مرات ليستأنس بصوته ثم وضع فوهته على صدغه وتصور دماغه، بطلقة رصاصة واحدة، ينفجر من الجهة الأخرى من جمجمته كما فعل "**أرنست هيمنغواي**" فراعَهُ منظره وقد صار مجرد علبة داستها قدم طفل غير عابئ.

عدَل عن الخيار وخفض الفوهة إلى جهة قلبه وتخيله ينفجر، مع طقطقة الزناد، مُسبباً نافورة من الدماء المتدفقة إلى أرضية الشقة كما حدث ل "**فان غوخ**" فأثار فيه المنظر الغثيان: أن ينفجر قلبه كبالونة ويستمر في النبض في الفراغ بشرايين مقطوعة كسمكة سقطت طيشا خارج الحوض.

رفع فوهة المسدس ثانية ودسّها داخل فمه لكنه سرعان ما سحبها لأن هذه الطريقة في الانتحار لا تليق به وبمكانته كرجل سويّ عاش حياة سويّة مع سويّات. لكن هل وحده الانتحار برصاصة في الفم لا يليق به كرجل سويّ؟

إن الانتحار، مثل الملبس والمأكل وأسلوب الضحك والكلام والمشي والرقص ونوعية الأصدقاء الدين يرافقهم والمآوي التي يقصدها، ما هو إلا تجلّ من تجليات الشخصية الحيّة...

إن من عاش للكتابة ودفع حياته ثمنا للكتابة وصادق من الناس أحبّهم للكتابة وعادى منهم أعداهم لها، لا يليق به أن يموت موْتَ الشواذ.

الأنسب أن يموت مع الكتابة أو بها. وهو يعرف قصة تحايل أباطرة مخدر **إل إس دي** على قانون السجن الدي كان يحرمهم من تداول المخدر فاستنجدوا بأحد أقاربهم الذي دَوّنَ لهم الإنجيل بمداد من مُخَدّر **إل إس دي** وأهداه لهم بحضور حراس السجن الدين لم يولوا للأمر اهتماما حتي انتبهوا إلى أن الإنجيل في زنازين الأباطرة لا يُقْرَأُ وإنما يُمْضَغ**!**

أعجبته الفكرة: " **مَنْ عاش من أجل الكتابة، وَجَبَ عليه الموتُ بها**". وعلى طريقة الأباطرة، أفرغ سُمّ "**سقراط**" في جعبة قلمه ووضع ورقاً وفيراً على مكتبه وبدأ يعيد كتابة أعماله المنشورة بمداده الجديد حتى إدا ما فرغ منها، قرأها على طريقة الأباطرة وانتشى بها على طريقة الأباطرة وحسبه أن يموت إمبراطوراً كما عاش على الورق.

30 يونيو 2007

قاتلي، أنا لا زلت حيا

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها لخير طاب مسكنها
وإن بنـاها لشر خاب بانيها

علي بن أبي طالب

لا تلتفت لا يمينا ولا يسارا، فأنا لست خارجك!

لا تخف، فأنا لست هنا للانتقام!

لا تغلق النوافذ ولا الأبواب فصوتي لا يصل مسامع أحد غيرك. فأنا داخلك!

لا تهرب، فلا يمكنك الهرب من ذاتك!

أنا هنا فقط لأذكرك بأن أدوات القتل تبقى عقيمة حين يرتبط الهدف بالظلم والغدر والعدوان.

يوسوبوف! يوسوبوف!

أيها الأمير، هل تختلف معي بأن الرحلة كانت جميلة؟

أعتقد أنك لا تذكر غيرها، فانا أقصد تلك الرحلة الليلية على متن سيارتك المكشوفة حيث كنت تعتقد أنك تستدرجني فيها إلى قصرك في **سانت بترسبورغ** لتسميمي.

لم أستمتع في يوم من الأيام بنجوم الليل كما استمتعت بها تلك الليلة في الكرسي الخلفي وراءك مباشرة على السيارة. متعة لم يكن يعكرها سوى أنفاسك المتسارعة الخائفة من اقترافك لفعلك الشنيع. وحدها أنفاسك كانت تعكر عليّ صفوَ ليْلي!

دخلت مرارا إلى قصرك لكنه لم يكن في أي من الأوقات بنفس درجة الكآبة والضيم التي كانها آخر مرة. الضجيج في "**غرفة المتآمرين**" في الطبق الأعلى كان يربكك وأنت تحاول الابتسام للموازنة بين جو الضيم حواليك وجو الخبث داخلك.

قبلت شرب النبيذ المسموم الذي قدمته لي احتفاء بي في حجرة الاستقبال وأنا أنظر إلى الخوف على محياك يستحيل فرحا بدنو حتفي. وخطر على بالي سؤال غريب وددت ان يصلك في حينه:
-"من منا يسمم الآخر؟"

وقبل تناول قطعة من الكعك الشهي على المائدة، سألتك:
- "هل هذا الكعك على المائدة مسموم أيضا؟"

كدت تنهار على الأرض خوفا من انفضاح أمرك. لذلك وجدتها فرصة ذهبية لمضاعفة نسبة السم في أحشائي فعرضت عليّ طبقَ الكعك أمام وجهي لتلغي كل احتمالات الرجوع في طلبي وبالتالي إفلاتي من السم. لكنك لم تصدق أنني وجدت الكعك لذيذا وطريا وأنا أزدرده الواحد تلك الآخر. حتى ما إذا أفرغت في جوفي قنينة النبيذ وطبق الكعك وطلبت المزيد، هَرَبْتَ صاعدا السلم لإخبار عصابتك الجبانة المختبئة في الطابق العلوي في "**غرفة العار**" لتخبرهم بأن السّم لا يُجدي نفعا معي...

يوسوبوف! يوسوبوف!

أيها الأمير الوضيع، ألم تكن تعرف أنني "**راسبوتين**" بلحمه ودمه؟!

ألم تكن تعلم، أيها النذل، أنني "**راسبوتين**"الراهب الوحيد المسموح له بمعاقرة الخمر، كل أنواع الخمور، ومعاشرة النساء، كل النساء؟

ألم تكن تعلم، أيها الوغد، أنني "**راسبوتين**" الذي يشفي بيديه كل المرْضى من كل الأمراض؟

ألم تكن تعلم، أيها الخسيس، أنني "**راسبوتين**" علامة مسجلة من علامات الترياق ضد كل السموم؟

في الطابق الأعلى، تأخرت كثيرا. ربما خفْتَ من النزول ثانية لمقابلة رجل يخافه الموت. ولأنني شربت النبيذ حتى الثمالة وأكلت الكعك حتى الامتلاء، فقد كنت أنشد القليل من النوم. لذلك، سعدت كثيرا لنزولك السلم ثانية وإشهارك المسدس وراء ظهري فالرصاص يعجل بالراحة ويجعل النوم أكثر استقرارا. لذلك، تمددت على الأرض بعد طلقة واحدة على ظهري...

وذلك الحقير "**سولس كيفيتش**"، صديقك. ألم يستفد من درسك؟

هل كان يصدق بأن رصاصه قاتل؟

هل كان يعتقد بأن "**راسبوتين**" يهزمه الرصاص؟

كان الدم ينزف مني على طول الطريق التي ركبت فيها أكتافكم المرتجفة من ثقل وزني ومن ثقل قيمتي ومن ثقل الجريمة التي لا يمكنكم إخفاؤها؟

وحده وكيل الاستخبارات الأجنبي أدرك أنني لا زلت حيا.

وحده الغريب " **أوزوالد راينر"** أحس بنَفَسي الساخن داخل ياقة قميصه.

وحده المجرم الدخيل أدرك ذلك فأمركما معا بإنزالي إلى الأرض كي يصوب رصاصته الأخيرة بين عيني قبل إلقائي في مياه نهر " **نيفيدكا**" المثلجة.

في برودة مياه النهر المنعشة، خطرت على بالي فكرة الانبعاث والعودة مجددا إليكم كي تفرغوا في جسدي ما تبقى من ذخيرتكم الحيّة. كان بإمكاني أن أحيا ثالثة ورابعة وخامسة وأعود إليكم لتقتلوني من جديد. لكنني فكرت في طريقة أخرى أعود من خلالها إلى الحياة: الانبعاث داخلكم، العودة إلى الحياة من داخلكم ومجالستكم في داخلكم وتأنيبكم من داخلكم!...

بهذه الطريقة، لن يكون ثمة تسميم ولا تمثيل ولا مطاردة ولا إطلاق رصاص...

بهذه الطريقة، لن يكون ثمة اختيار آخر غير المكاشفة والمصارحة والحقيقة التي لا يملك المرء القدرة على الهروب منها أو الاختفاء عنها...

قاتلي، أنا لا زلت حيّاً.

قاتلي، أنا لم أمتْ بعْدُ.

قاتلي، أنا هنا داخلك فلا تنتحر!

29 مارس 2007

مَوْتُ المؤَلف

لا شك أن الأمر كان دوما على هذا النحو: فما أن تُحْكَ واقعة، دون مرمى آخر وراء ذلك، وليس بغية التأثير المباشر على الواقع، أي في النهاية خارج كل وظيفة اللهم الوظيفة الرمزية، فإن الانفصال سرعان ما يحصل، فيفقد الصوت مصدره، ويأخذ المؤلف في الموت، وتبدأ الكتابة **(...)** المؤلف شخصية حديثة النشأة، وهي من دون شك، وليدة المجتمع الغربي **(...)** رغم أن مملكة المؤلف ما تزال شديدة القوة (إذ أن النقد الجديد لم يعمل في أغلب الأحوال إلا على تدعيمها)، فمن الواضح أن بعض الكتاب حاولا خلخلتها منذ أمد طويل. ففي فرنسا، لا شك أن **مالارمي** كان أول من تَبَيَّنَ وتنبأ بضرورة إحلال اللغة ذاتها محلّ من كان، حتى ذلك الوقت، يُعَدُّ مالكاً لها؛ فاللغة في رأيه كما في رأينا، هي التي تتكلّم وليس المؤلف **(...)** إن انسحاب المؤلف **(...)** يُغَيّرُ النصّ الحديث رأساً على عقب.

رولان بارث
"موت المؤلف"
عن كتاب **"درس السيميولوجيا"**
ترجمة **عبد السلام بنعبد العالي**

خبر صحفي:

توفي أمس في ساعة متأخرة من الليل المبدع الكبير **معروف الضايع** في بيته المرهون لدى البنك مقابل صرف تكاليف العلاج الدائمة بعد معاناة طويلة مع الشلل النصفي الذي ألزمه البيت وحرمه من الكتابة وحصر كل أمله في عودة نصفه الأيسر إلى الحركة والحياة تحت فعل الترويض الجسدي الذي دام سبع سنوات.

وقد عُرفَ عن المبدع الكبير **معروف الضايع** جرأته في تناول القضايا الحساسة ولذلك هُدّدَ مراراً بوضع حدّ لحياته بحيث تعرض للاغتيال سبع مرات كما أحرقت كتبه في العديد من المناسبات وتعرضت زوجته للاغتصاب ثلاث مرات واختطف ابنه ولم يطلق سراحه إلا لقاء فدية...

برقية تعزية من الأقارب إلى الأقارب:

العزيزات والأعزاء أسرتنا وأسرة المرحوم عمنا **معروف الضايع** المكلومة،

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه»، وإنا نشهد أن الفقيد قد صدق ما عاهد الله عليه.

إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي الله عز وجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

إنه لمصاب جلل ورزء عظيم ومحنة كبيرة فجعت الأفئدة. فقد كان رحمه الله مناضلا زاهدا ناكرا لذاته محبا للإنسان في أي زمان وفي كل مكان. فقد كان يعطي عطاء لا يخشى الفاقة ويغرس للأجيال القادمة غرسا نسأل الله أن يجني ثماره في جنات عَدن.

إننا في فقده نُمْتَحَنُ ولا مناص لنا من مواجهة قدرنا والصبر عليه. فرحمه الله وأسكنه فسيح جنانه وجمعه وإيانا بالصالحين والنبيين والصديقين والشهداء. اللهم، آجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرا منها.

بلاغ من "جمعية أصدقاء معروف الضايع" حديثة التأسيس:

تعلن "جمعية أصدقاء **معروف الضايع**" لعموم المواطنين تشكيل مكتبها الوطني والبدء في تفعيل المبادئ التي قامت على أساسها ومنها:

* مؤازرة كل المبدعين الأحرار وأصحاب الرأي المستقل والدفاع عنهم.
* إطلاق حملات بعث الكتب المحظورة أو المحروقة أو المصادرة وإعادة طبعها ونشرها وتوزيعها.

* جمع أسماء الجمعيات الثقافية القائمة أساسا على التجسس على الثقافة من أجل التشهير بها ومحاكمتها وحلها نهائيا وتعويض ضحاياها.
* جمع أسماء أشباه الفاعلين المنسوبين على الثقافة والموظفين من طرف جهات أخرى ضد الثقافة للمطالبة بمحاكمتهم محاكمة علنية جماهيرية.
* الانفتاح على المواطنين كافة حتى ينال عموم الشعب حقوقه غير منقوصة...

وإنك، أختي المواطنة أخي المواطن، بانخراطك في إطارنا الثقافي الجديد، ومشاركتك معنا في هذا العمل الناشئ ستعمل على عدم تكرار تجربة "**دولة بلا كُتُب**" وإنهاء عصر "**مجتمع لا يَقْرَأُ**".

عن المكتب الوطني للجمعية

<u>بلاغ من وزارة الثقافة:</u>

يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي."

تلقت وزارة الثقافة بحزن وأسى انتقال المبدع العظيم **معروف الضايع** إلى جوار ربه. وبالمناسبة، تعزي وزارة الثقافة آل الفقيد راجية من المولى عز وجل أن يسكنه فسيح جنانه ويلهم ذويه الصبر والسلوان. كما تود الوزارة طمأنة الرأي العام الوطني بخصوص طرد أسرة الفقيد من البيت موضوع الرهن لدى البنك بأن الوزارة أهدت للأسرة فيللا فخمة تليق بمكانة الفقيد الإبداعية كرمز من رموز الوطن. كما أنها سددت للبنك الدائن كل الديون المستحقة على الفقيد وأنها خصصت البيت متحفا يؤمه قراء الفقيد وعشاق الإبداع وسياح الثقافة من كل أرجاء المعمور وسيحمل المتحف اسمه "**متحف معروف الضايع** ".

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

<u>بلاغ من وزارة التعليم العالي:</u>

تنظم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة **معروف الضايع** مهرجان **معروف الضايع** للإبداع أيام 25 و26 و27 من رمضان ابتداء من الساعة التاسعة ليلا.

دورة هذا المهرجان اختير لها شعار "**الحاءات الثلاث: حلم، حرية، حب**" وستعرف هده الدورة إعلان الفائزين الأوائل في مسابقة الشعر والقصة القصيرة والرواية والمسرح. كما ستعرض خلال أيام المهرجان أفلام سينمائية قصيرة وعروض موسيقية وتشكيلية ومسرحية وحفلات توقيع آخر الإصدارات الإبداعية بحضور كاتباتها وكتابها...

<u>برقية تعزية من اصحاب الفخامة رؤساء الدول الشقيقة والصديقة إلى فخامة رئيس الدولة المكلومة:</u>

فخامة السيد الرئيس **خالد السرمدي** أطال الله عمره،

علمنا ببالغ الأسى والتأثر نعي المغفور له المبدع العظيم **معروف الضايع** طيب الله ثراه المبدع الذي أغنى الإبداع العالمي بعطاءاته فصار بحق عَلَماً من أعلام المعرفة والإبداع الإنسانيين ونال حظه من التكريم والتشريف في حياته ودخل التاريخ من بابه الواسع وهو حي.

وإننا، باسمنا الشخصي ونيابة عن شعبنا، نتقدم إلى فخامتكم وإلى شعبكم الشقيق بأحر التعزي والمواساة وندعو الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وان يحفظكم ويرعاكم ويسدد خطاكم وأن يرزقكم وكل الأسرة الحاكمة جميل الصبر والسلوان وأن يحفظ فخامتكم من كل مكروه حتى توصلوا بلدكم المكانة اللائقة به عالميا إبداعا وعطاء وإخاء.

إن الله يمتحن عباده الصالحين ولدلك امتحنكم، فاصبروا على قضاء الله وقدره.

أسأل الله أن يجعل الجنة مأواه وأن يلهم ذويه الصبر والسلوان. والسلام عليكم ورحمة الله.

<u>برقية تعزية من فخامة السيد رئيس الدولة إلى أسرة الفقيد المكلومة:</u>

خدام عتباتنا الموقرة أسرة المبدع العظيم **معروف الضايع**،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

فقد علمنا بعميق الأسى وبالغ الحزن بأن الأجل المحتوم قد وافى المشمول بعفوه تعالى، المرحوم **معروف الضايع** تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه. وبهده المناسبة الأليمة، نتقدم إليكم ومن خلالكم إلى كافة أصدقائه وأهله ومعارفه بأحر التعازي وأصدق المواساة في هذا الرزء العظيم الذي لا راد لقضاء الله فيه، راجين الله أن يتقبل الفقيد مع المنعم عليهم بالجنة من عباده الصالحين.

وإن رحيله ليعد خسارة فادحة ليس بالنسبة لأسرتكم فحسب ولكن بالنسبة للوطن وللإنسانية جمعاء.

وإذ نشاركم حزنكم في هدا المصاب الجلل، فإننا نؤكد لكم أن ما كنا نُكنُّهُ له دائما في حياته من عناية خاصة لا يعادلها سوى إرادتنا في استمرارية نفس العناية لأسرته الكريمة بعد وفاته. هذه الأسرة التي وهبت للوطن مبدعا منقطع النظير: وفيا وصادقا وملتزما ومسؤولا.

فالله نسأل أن يدخله فسيح جنانه ويعوضكم عنه حسن العزاء وإنا لله وإنا إليه راجعون.

1 يوليوز 2007

ملاحق

-1-

حوار منشور على جريدة "الصحيفة" المغربية،
عدد 07– 13 نوفمبر 2003

سؤال: اختيار العنوان لا يخلو من مقصدية. لماذا اخترت "**في انتظار الصباح**" عنوانا لقصصك؟ متى يأتي الصباح الذي تنتظره؟

جواب: قرأت مرة للكاتب المغربي محمد شكري هذه الفقرة التي يشتكي فيها من صعوبة اختيار عناوين أعماله الإبداعية: " الصعب عندي قد يكون في اختيار عنوان مناسب حين انتهائي من نص. إن العنوان ينبغي ان يكون مثل عرف الطاووس أو ذيله " . اهمية العنوان تكمن في قوة جاذبيته للقارئ، تلك الجاذبية التي تقابلها في مجالات الحياة الاخرى جاذبية اللون والرائحة والملمس. العنوان، كما يراه رولان بارث ، يجب ان يثير في القارئ الرغبة في القراءة. هذا عن أهمية اختيار العنوان، أما عن معايير هذا الاختيار، فأعتقد أن هناك نموذجين: نموذج العنوان المفروض من خارج النص وهو يتماشى مع تقنيات الكتابة السردية ذات **النزوع الشمولي** (omniscient point of view, absence of dialogue…). أما النموذج الثاني، ***النموذج العضوي***، فهو نموذج العنوان المنتقى من بين النصوص المتضمنة في المجموعة القصصية، فيتماشى مع تقنيات الكتابة السردية ذات التوجه الانفتاحي الحواري... وهذا ما قمنا به في إصدارنا هذا: فنص *" في انتظار الصباح"* ، قبل كونه عنوانا للمجموعة القصصية الراهنة، هو نص تتقاطع فيه جميع نصوص المجموعة شكلا ومضمونا: دائرية الزمن، القلق الوجودي، الفراغ، الانتظارية... ولذلك وقع عليه الاختيار كعنوان عضوي للمجموعة القصصية.

-2-

حوار منشور على جريدة "العرب اليوم"الأردنية،
عدد 27 يونيو 2004

سؤال: هل تعتقد أن عنوان الكتاب أو شكله مهم لجذب القارئ؟

جواب: يميز الإنسان العامي بين الشكل والمضمون ضمن نسقه المعرفي المبني أساسا على الثنائيات الميتافيزيقية: صواب/ خطأ، جائز/ ممنوع، ظاهر / باطن... أعتقد أن **الشكل هو المضمون، وأن المضمون** بالتالي **هو الشكل**. إن الشكل هو التجسيد الفيزيقي للمضمون أو بعبارة **ميشيل فوكو**: «**الشكل هو السطح العميق للجوهر**». فشكل عمارة متشققة من أسفلها إلى أعلاها لا يمكن أن يحيل إلا على المضمون العميق التالي: القابلية للانهيار في أي لحظة...

وإذا كان **الشكل هو الوجه المنظورللجوهر**، فقد وجب الاهتمام بأشكال العرض الابداعي بنفس الدرجة التي يتم بها الاهتمام بالمادة /الموضوع. ففي حالة الكتاب، وجب الاهتمام بعنوان الكتاب، لوحة غلاف الكتاب،... وهما ما يمكن تسميتهما بعتبات النص. فمن خلال هذه العتبات يمكننا تشكيل رؤية حقيقية ليس فقط عن العمل وحده بل عن مجموع اعمال الكاتب السالفة واللاحقة. وكشهادة، أعتقد انني باختياري لعناوين مجاميعي القصصية أتحاور مع عناوين نصوص مغايرة وأعانق من خلالها الدوائر التي أعشقها. فكل عناوين مجاميعي القصصية تعود بشكل دائري إلى عنوان سابق في الببليوغرافيا الإبداعية الإنسانية وكأن لا جديد تحت الشمس. ويتعزز هذا الموقف مع التقنيات السردية المشغلة لذات الغرض داخل كل أعمال المجموعة: فالمجموعة القصصية" **في انتظار الصباح**" تحيل بشكل ظاهر على مسرحية "في انتظار غودو"، والمجموعة القادمة" موسم الهجرة إلى أي مكان" تحيل بشكل آلي على رواية "موسم الهجرة إلى الشمال ..."أعتقد ان ان الإنتباه لعتبات النص ضروري للغاية وإهماله كارثة بجميع المقاييس.

-3-

حوار منشور على اليومية الفرانكوفونية المغربية "لوماتان الصحراء"، عدد 26 غشت 2008،

سؤال: فضلا عن كونكم باحثا في قضايا الأدب، تشتغلون أيضا بالكتابة الإبداعية. ما هو الجنس الأدبي الذي تجدون فيه ذاتكم أكثر؟

جواب: أنا أجد ذاتي في كل الأجناس الأدبية "**السردية**" التي أشتغل فيها من قصة قصيرة وقصة قصيرة جدا ورواية ويوميات وسيرة ذاتية.

ففي مجال القصة القصيرة لي تسع مجاميع قصصية بين مجاميع منشورة ومخطوطة وهي المجاميع التي أقسمها إلى قسمين: "**مجاميع داكنة**" و"**مجاميع فاتحة**".

أما "**المجاميع الداكنة**" فتستمد صفتها من غلافها الداكن ومواضيعها الداكنة وآفاقها الداكنة وتهيمن على مضامينها تيمة "**الحرية**" وعلى أساليبها "**السخرية**" وتنضوي تحت هدا القسم الداكن المجاميع القصصية التالية "**في انتظار الصباح**" و"**موسم الهجرة إلى أي مكان**" و"**موت المؤلف**" و"**وراء كل عظيم أقزام**" و"**حوار جيلين**" المجموعة القصصية المشتركة **مع إدريس الصغير.**

وأما "**المجاميع الفاتحة**" فتستمد صفتها من غلافها الزاهي الألوان وتهيمن على مضامينها تيمة "**الحب**" وتيمة "**الحلم**" وتستبدل في أساليبها "**السخرية**" ب"**السعي للخلاص**". وتنضوي تحت هدا القسم الفاتح المجاميع القصصية التالية "**هكذا تكلمت سيدة المقام الأخضر**" و"**كيف تكتبين قصة حياتك**" و"**كما ولدتني أمي**".

أما في مجال القصة القصيرة جدا، فلي ثلاثة مجاميع تنتظر النشر عنوان كل جزء منها "**خمسون قصة قصيرة جدا**" ويتمحور الجزء الاول حول "**الحرية**" والثاني حول "**الحلم**" والثالث حول "**الحب**".

وفي مجال الرواية، لي مخطوطان: "**قيس وجولييت**" و"**بطاقة هوية**"...

وفي مجال السيرة الذاتية، السيرة الذاتية المصورة "**عندما تتحدث الصورة**" التي حظيت من خلالها بالشرف الذي ما بعده شرف: شرف أن أكون أول كاتب لأول " **فوتو-أوتوبيوغرافيا**" في تاريخ الأدب والفن وقد قرأها القراء عبر الإنترنت كاملة قبل خروجها للأسواق الورقية...

-4-

حوار منشور على جريدة" الجماهيرية "الليبية، عدد 17-16 يناير2009

سؤال: الذي أعرفه عنك أثناء الكتابة القصصية أنك تنطلق من النهاية كبداية. أقصد أنك تبدأ بعنوان المجموعة ثم العناوين الفرعية ثم تخرج النصوص إلى السطح. هل أنت بذلك تسعى لتكسير المعتاد؟

جواب: أعترف بأنني أكتب بشكل "**مختلف**" عن أشكال الكتابة المتداولة حاليا. فأنا لا أكتب ب"**النصوص القصصية الفردية المتفرقة**" ثم أجمع نصوصي مع تقدم العمر في مجموعة قصصية. فأنا أكتب ب"**المجموعة القصصية**" وهو شكل "**معكوس**" تماما يبدأ من **الكل** (المجموعة القصصية) ويتدرج نحو **الجزء** (النص القصصي وتقنياته السردية).

أفكر، أولا، في عنوان للمجموعة القصصية وهو العنوان الذي يصبح مباشرة تيمة محورية تجتمع حولها كل عناوين النصوص التي تتناسل داخل حقل مبحث واحد كان في مجموعتي القصصية الأولى"**في انتظار الصباح** " (2003) هو "**الانتظار والفراغ والقلق الوجودي**"، وفي مجموعتي القصصية الثانية "**هكذا تكلمت سيدة المقام الأخضر**" (2005) كان هو "**العودة إلى البراءة**"، وفي مجموعتي القصصية الثالثة "**موسم الهجرة إلى أي مكان**" (2006) كان هو "**خِيَارُ الهجرة وعنف التهجير**"، ولدي ثلاث مجاميع قصصية تنتظر الخروج للنور: الأولى عنوانها "**وراء كل عظيم أقزام**" و تيمتها المحورية هي "**العلاقة بين الانبطاح والاستبداد**"؛ والثانية "**مَوْتُ المؤلف**" و تيمتها المحورية هي "**النهاية والموت والخلاص**"؛ أما المجموعة القصصية الثالثة فعنوانها "**كما ولدتني أمي**" وتيمتها المحورية واضحة من عنوانها وُضُوحَ الشمس في "**بنغازي**"...

وأود، بالمناسبة، أن أؤكد لعموم المبدعين في مجال القصة القصيرة أن "**الكتابة بالمجموعة القصصية**" هي أسهل الطرق في الكتابة القصصية وأنجعها على الإطلاق رغم التخوف الذي يبديه الكثير من الكتاب من الأمر؛ كما أن "**الكتابة بالمجموعة القصصية**"، أي الكتابة من الختام كما تفضلتِ، تعين على التركيز والتحكم في النص والإمساك بخيوطه بنجاعة ودعم التفكير النسقي وتعقلن الكتابة وتسرع الإنتاج وتجعل الكاتب يختار نصوصه عوض أن تختاره هي...

حاليا، أفكر في التفرغ للترويج لهده التجربة ولتعميمها إن بين الكتاب المتمرسين أو بين ناشئة الكتابة القصصية ما دمت متحمسا لكي تصبح هده الطريقة في الكتابة القصصية خاصية تميز القصة العربية القصيرة عن مثيلاتها في باقي مناطق العالم لكونها **تردم الهوة بين الرواية والقصة القصيرة**.

-5-

حوار منشور على جريدة" عيون الجنوب" المغربية،

العدد 7 السابع، شهر أكتوبر سنة2009 ، ص21

سؤال: أنت كاتب بـ"**المجموعة القصصية**" بمعنى أنك تفكر أولا في عنوان للمجموعة القصصية، وهو العنوان الذي يصبح مباشرة تيمة محورية تتناسل عنه النصوص القصصية. ألا يمكن أن تكون هذه الصرامة المنهجية تصنيعا للنص لا إبداعا له ؟

جواب: الخطر على الأدب لا يكمن في ابتكار مناهج للكتابة الإبداعية بل الخطر الحقيقي الدي يترصد الأدب يكمن في غياب مناهج للكتابة وللإبداع بحيث يتسلل كل من هب ودب ليقدم نفسه أديبا بنص وحيد منشور على صفحات جريدة حزبية ينتزع من خلاله بطاقة العضوية في نقابة الكتاب ليتسلق إلى عضوية المكتب ويساهم في رسم التشكيلات وتأطير التكالب على الكتاب الحقيقيين وتنظيم الحزازات بين الكتاب الحقيقيين وإدكاء الفتن بين الكتاب الحقيقيين... هده هي "**الصناعة**" الرائجة في زمن "**التسيب الثقافي**" والتي لا تجد من يندد بها. أما منهج الكتابة ب"**التيمة القصصية**" أو ب"**المجموعة القصصية**" فإدا كان يعطي نتائج أكبر من غيره من المناهج، فهدا أوضح دليل على أنه المنهج الأنسب في الكتابة. وقد أنجزت بهده الطريقة تسع مجاميع قصصية وثلاث مجاميع قصصية قصيرة ...

-6-

شهادة منشورة على "المجلة العربية"،

عدد 372 – فبراير 2008، صفحات 70، 71، 72

أكتب بشكل مختلف. فأنا لا أكتب سطرا بسطر، فقرة بفقرة، نصا بنص... أنا أكتب ب"المجموعة القصصية" وليس بالنصوص الفردية المتفرقة. الأمر يتعلق بثلاث مراحل.

في المرحلة الأولى، أحدد التيمة المحورية للمجموعة القصصية او المبحث الدي ستدور حوله كل النصوص القصصية المفترضة. بعد ذلك تأتي النصوصاتباعا بشكل قد يبدو للقارئ، بعد اكتمال العمل، كما لو كانت المجموعة القصصية كلها نصا واحد يتكرر بأساليب مختلفة وعناوين متجددة...

المرحلة التانية لمرحلة تحديد المحاور ومواضيع الكتابة هي مرحلة جمع المادة القصصية وتدوينها من خلال مشاهدات عابرة أو خواطر رفيعة أو تجارب حية. ولأن الأمر لا يعدو كونه تدوينا، فقد أشرع في التحرير وأنا مستلق على فراشي أو تحت شجرة ، أو على متن قطار أو واقفا في طابور أو مترجلا في الشارع... المهم هو تدوين الملاحظات والأفكار والأحاسيس الهاربة من دون رجعة والتي لن يكون بإمكاني الإمساك بها في يوم من الأيام.

أما المرحلة الثالثة، فهي مرحلة تدوين النصوص على ضوء التيمة المحورية المحددة لكل النصوص القصصية وهذا اعتمادا على خطاطات المشاهدات والخواطر المراكمة في المرحلة السابقة.

النصوص

شهادة بقلم محمد سعيد الريحاني

حالة تَبَلُّد

كل حياتنا للراحة وكل مماتنا للقلق

حالة تَسَمُّم

اذكروا موتاكم بخير!

على سرير الموت

أسوأ قدر لأسوأ أسير

الحياة كما يتمناها الأموات

الموت على طريقة الأباطرة

قاتلي أنا لا زلت حيا!

مَوْتُ المؤَلِّفِ

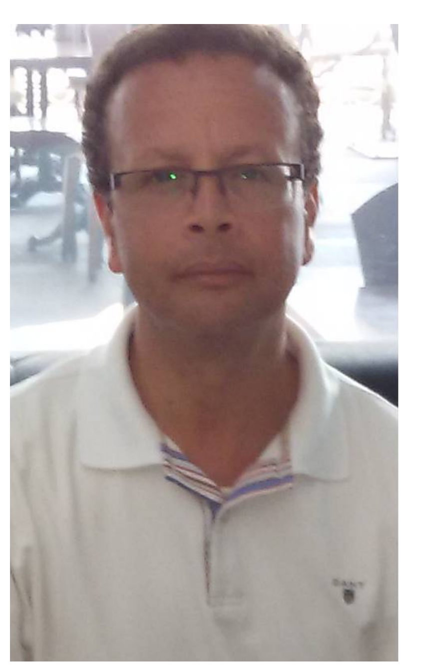
مَلاحِق

سيرة ذاتية

السيرة الذاتية لمحمد سعيد الريحاني

- حاصل على شهادة **الماستر** في **الترجمة والتواصل والصحافة** من **مدرسة الملك فهد العليا للترجمة** بطنجة/المغرب (تابعة **لجامعة عبد الملك السعدي**، تطوان/المغرب)، و على شهادة **الماستر** في **الكتابة الإبداعية** من كلية الفنون والعلوم الاجتماعية **بجامعة لانكستر** بالمملكة المتحدة، وعلى شهادة **الإجازة في الأدب الإنجليزي** من كلية الآداب والعلوم الإنسانية **بجامعة عبد الملك السعدي**، تطوان/المغرب.

- عضو "**اتحاد كتاب المغرب**"منذ 2008، وعضو هيأة تحرير "**مجلة كتابات إفريقية**" الأنغلوفونية ***African Writing Magazine*** الصادرة من مدينة بورنموث ***Bournemouth*** جنوب **إنجلترة** منذ 2010، وعضو الهيئة الاستشارية **للتقرير العربي للتنمية الثقافية** الذي تصدره **مؤسسة الفكر العربي** من **بيروت** منذ 2010...



صدر له باللغة العربية:

- "**الاسم المغربي وإرادة التفرد**"، دراسة سيميائية للإسم الفردي **(2001)**
- "**في انتظار الصباح**" ، مجموعة قصصية **(2003)**
- "**موسم الهجرة إلى أي مكان**"، مجموعة قصصية **(2006)**
- "**الحاءات الثلاث**"، **أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة** (حاء **الحلم**، 2006)
- "**الحاءات الثلاث**"، **أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة** (حاء **الحب**، 2007)
- "**الحاءات الثلاث**"، **أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة** (حاء **الحرية**، 2008)
- "**تاريخ التلاعب بالامتحانات المهنية في المغرب**" (الجزء **الأول**، 2009)
- "**تاريخ التلاعب بالامتحانات المهنية في المغرب**" (الجزء **الثاني**، 2011)
- "**موت المؤلف**"، مجموعة قصصية **(2010)**
- "**حوار جيلين**" (مجموعة قصصية مشتركة مع القاص المغربي **إدريس الصغير**) 2011
- "**عَدُوُّ الشَّمْسِ، البَهْلَوَانُ الذِي صَارَ وَحْشاً**"، **أول** رواية عن **الثورة الليبية** (2012)
- "**وراء كل عظيم أقزام**"، مجموعة قصصية **(2012)**
- "**لا للعنف**"، مجموعة قصصية **(2014)**، منشورات **مكتبة سلمى** بتطوان/المغرب
- "**حاء الحرية**" (خمسون قصة قصيرة جدا)، **(2014)**، منشورات **وزارة الثقافة المغربية** بالرباط/المغرب
- "**العودة إلى البراءة**"، مجموعة قصصية (2015)، منشورات **اتحاد كتاب المغرب** بالرباط/المغرب.
- "**صدقية الشعار الإعلامي العربي من خلال بناء الصورة الإخبارية**" (شعار قناة الجزيرة، "**الرأي والرأي الآخر**"، نموذجا)، 2015.

وصدر له باللغة الإنجليزية:

- ***Waiting for the Morning*** *(Short Stories)* Bloomington (Indiana/USA): Xlibris, 2013. **ISBN:** 978-1493104093

كما استضافته عدة كتب **للحوار**:

- **أنس الفيلالي**، "**رَيْحَانِيَاتٌ**" (سلسلةُ حوارات شاملة منْ **أربعينَ** لقاءً صحفياً مع **محمد سعيد الريحاني**)، عمان/الأردن: **دار الصايل للنشر**، الطبعة الأولى، 2012 (الطبعة المغربية: **مكتبة سلمى الثقافية**، تطوان/المغرب، 2015).
- كتاب جماعي، "**مع الريحاني في خلوته**" **(**ثلاثون حوارا في الفن والثقافة والأدب مع **محمد سعيد الريحاني** أجراها أدباء ونقاد وإعلاميون عرب) تطوان/المغرب: **مكتبة سلمى الثقافية**، الطبعة الأولى، 2015.

أشرف على **الترجمة الإنجليزية** للنصوص المكونة **للقسم المغربي** في عدة أنطولوجيات نشرتها دور نشر "**ريد سيه بريس**" و"**أفريكا وورلد بريس**" و"**مالت هاوس**":

- "**صوت الأجيال: مختارات من القصة الإفريقية المعاصرة**"، ***Speaking for the Generations: An Anthology of Contemporary African Short Stories*** (ثمانية نصوص مترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية لثمانية قصاصين مغاربة)، 2010.
- "**أنطولوجيا الشعر الإفريقي الجديد**"، ***We Have Crossed Many Rivers: New Poetry from Africa*** (خمس قصائد مترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية لخمسة شعراء مغاربة)، 2012...

له عدة **دراسات في الإعلام**، قيد الإعداد للطبع:

- "**مساهمة الإعلام في حوار الحضارات: الأسباب والوظائف والغايات**".
- "**الصورة الإخبارية في إعلامي الحداثة وما بعد الحداثة**" (دراسة مقارنة للأداء الإعلامي لقنوات **السي إن إن**، **أورونيوز**، **فرانس 24** و**الجزيرة**).